الشاعر ايليا ابو ماضي

(١٨٩٠ – ١٩٥٧)

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

لا يجهل اسم ايليا ابي ماضي دراة الادب العصري . ولا سيما الشعر الحديث . فانه قد كان من اشهر اعضاء « الرابطة القلمية» في نيويورك . له ثلاثة دواوين مطبوعة . « الجداول » و « الخمائل » التي ظهرت طبعتها الخامسة سنة ١٩٦٥ . و « تبر وتراب » المطبوع رابع مرة سنة ١٩٦٦ . لا مراء في انه قد سطع كنار على علم بين الشعراء اللبنانيين ؛ وُلد في الحيدثة – وهي من احياء بكفيا – عام ١٨٩٠ ؛ وتوفي في نيويرك سنة ١٩٥٧ .

نجد اوفر التنوع في مواضيع شعره وفي خيالاته : بل في الاوزان احياناً، بيد ان دواوينه غير مبوّبة : مما يصعّب على الناقد تحليل معاني قصائدها بالايجاز الذي تقتضيه مقالتنا هذه .

قلما اطال بيان رأيه في فلسفة الحياة ، لكنه يُبدي عشرات المرار ، في بيت واحد او في بضعة ابيات : ماديته الغليظة المبنية على ارتيابه في اوضح الحقائق الجوهرية التي هي اساس كل الاديان ، وبمعرفتها يمتاز الانسان عن الحيوان .

في « الاله الثرثار » – هكذا يسمي الانسان – يساويه ، مع انه صورة الخالق الحية وملك الكون المادي ، باحقر العجماوات بل الجمادات : فيصيح به . كأنه يوقظه من سبات الغواية :

انت جزء من الكيان وفيه ، كثراه ، كنبته ، كحصادُ :
كالورود التي تحب شذاها والبعوض الذي تخاف اذاه .
ماحيّ بالموت عنه انفصالٌ : ان دنيـــاد هذه أخراه .

يقول عن نفسه في هذا الشأن ذاته :

انا للارض ، وإن طال عن الارض اغترابي .

يأبى الاعتراف بكون الله تعالى قد خلقه من العدم :

جئتُ ، لا اعلم من اين ، ولكني اتيتُ .

يتقح فينسب الى مولاه صاحب الكمال المطلق والسعادة المحضة . امكان حزنه بتأثير الخلائق . التي اخرجها من العدم :

أي وربي . لو مضى الشاعر عنا . لشقينا
ولأمسى الله مثل الناس مغموماً حزينا .

حزنه اباطيل الدنيا وذهبت بعقله . فصرّح بانه في غنى عن ثواب الآخرة وسعادتها الابدية :

ربّ . هبني لبلادي عودةً . وليكن للغير في الاخرى ثوابي.

لا تعدني بالسما . يا صاحبي . السما عنديَ قرب الاصدقاء .

ينكر وجود جهنم التي نؤمن بها جميع الاديان :

ليست جهنم غير فكرة تاجر : الله لم يخلق لنا الا السما .

يقول في « انفس العُشاق » :

بالامس بادرني صديق حائر يستفهمُ :
« اجهنمٌ نار ، كما زعم الهُداة وعلّموا .
« ام زمهرير قارس قاس وكون مظلم ؟ »
فاجبته : « ما الزمهرير وما اللظى المتضرم
« بجهنم ، لكنما انّ لا تحب جهنم . »

العنوان المذكور لا يترك ادنى مجال للشك في ان الشاعر يعني بالبيت الاخير ان جهنم قائمة بعدم الحب الجنسي .

الدين . الذي اكد آلاف من نوابغ الفلاسفة انه القوة الوحيدة القادرة على تحرير الانسان . المجبول بالفساد . من عبودية الشهوات السافلة الفاشمة . ليس في نظر ايليا الكافر المتحذلق . سوى غُلّ يسلب البشر حريتهم :

وسائلة اي المذاهب مذهبي وهل كان فرعاً في الديانات ام اصلا ؛
واي نبيٍّ مرسل اقتدي بـه . واي كتاب مُنزل عنديَ الاغلى ؟
فقلت لها : ولا يقتني المرء مذهباً . وإن جل . إلا كان في عنقه غُلا .»
فديني كدين الروض يعبق بالشذى : ولو لم يكن فيه سوى اللص منسلا .

في رثائه لسليمان البستاني ، يقول في شأن الموت :

لا تقل « ما وراءه ؟» ذاك سرٌّ خبأته الحياة في ظلماته .

في الابيات العديدة السابق ذكرها : ملخص فلسفة الشاعر المادية ؛ اذا ساغ ان تنعت هذيانه الوقح بالفلسفة . يُجهد فيه مخيلته لبث الحاده السمج . محاولاً بانواع السفسطات المتنكرة مراراً بوشي من الخيالات . ان يطفئ في عقول قرائه الايمان بوجود اله خالق . مشترع : ديّان : يكافئ الابرار بسماء خالدة الافراح . ويعاقب الاشرار بنار ابدية السعير . فضارعت عتاهته جنون من يحاول اقناع الناس بعدم وجود الشمس التي تنيرهم والقبة الزرقاء الممتدة فوقهم .

لم يكتف بدسّ سم ماديته الاباحية في الدسم . بازاحة طرف النقاب عنها في بعض ابيات قصائده . بل اطال بيانها الى حد إضجار القارئ . في « الطلاسم » . وهي في مئتين وثمانين بيتاً منقسمة الى سبعين دوراً . ينتهي كلٌّ منها بهاتين الكلمتين « لا ادري » . ذلك احتياط سخيف قد لاذ به خوفاً من ان يعيَّر بالكفر المطلق . فاكتفى بابداء شكه العام . بل جهله المُطبق لابسط الحقائق التي يعتقدها اشد الشعوب توحشاً . كروحانية النفس وخلودها ووجود الاله الخالق وحقوقه غير المحدودة على خلائقه .

ايليا يجهل كُنه طبيعته :

لي ذاتٌ غير اني لست ادري ما هيَهْ .

يجهل حريته :

هل انا حرٌّ طليقٌ . ام اسير في قيودْ ؟

يجهل اصله :

قد سألتُ البحر يوماً : « هل انا - يا بحر - منكا ؟ ...
هل انـا ارض وبحر وسماء ؟ لست ادري .

يجهل غاية وجوده :

ليس لي قصدٌ . فيا للدهر في سيريَ قصدُ ؟ ...

انا لا اعرف شيئاً من حياتي الآتيهْ ...

اوراء القبر بعد الموت بعثٌ ونشورْ ،
فحياة فخلود - ام فنـاء ودثور ؟

يجهل تفوقه المطلق على النبات والحيوان :

أأنا افصح من عصفورة الوادي واعذب ؟
ومن الزهرة اشهى . وشذى الزهرة اطيب ؟
ومن الخيّة ادهى . ومن النملة اغرب ؟
ام انا اوضع من هذي وادنى ؟ لست ادري .

يجهل سمو فضائل الرهبان وبطولة تضحياتهم . مع ان آلاف الكفار من امته قد جاهروا بها . ومئات منهم قد اهتدوا بتأثيرها . بل يعدّ الرهبان جمدة وقشة :

لن تنثُ العزلة سكناً وتُقى . عاشت راهبٌ ...

كيف يمحو النسك إثماً . وهو اثم ؟ لست ادري ..

كم تماري . ايها الناسك . في الحق الصريحْ ؟
لو اراد الله ان لا تعشق الشيء المليح .
كان . اذ سرّاك . سواك بلا قلب وروح ...
انت جانٍ . اي جانٍ . قاتلٌ في غير ثارْ .

يجهل ان ربيبات العلماء المتمهين الى كل الاديان موقنون كل الايقان بما يجهله :

لا تجادل . ذو الحجى من قال « اني لست ادري . »

ما النتيجة العملية لتلك المادية السافلة التي لا يزال يرشقنا بقذائفها المتواترة ؟ هو ذاته يكفينا مؤونة استخلاصها . فانه لم يخجل من ان يقول في « السماء » :

اكبر الاثم قولة المرء « هذا الامر إثم وهذه فحشاء » :
ليس بين الصلاح والشر حدٌ كالذي شاء وضعه الانبياء .

وفي « تعالي » يطبّق على ذاته ذلك المبدأ الكفري المبيح لاقبح المنكرات . فيقول لمعشوقته : « تعالي نُطلق الروحين من سجن التقاليد » ؛ يعني بالكلمة الاخيرة المبادئ الاساسية لما تفرضه وتحظره جميع الاديان . هكذا يعترف دون حياء بان الشهوات الدنيئة قد غشت على بصيرته : فاكتفى بمراتعها اللذيذة

على الارض . واعرض كل الاعراض عن السعي وراء سعادة ابدية بعد الموت ؛ لانه يعدّها من الاوهام والخرافات . فصح فيه قوله في « السجينة » :

ومن عُصبت عيناه . فالوقت كله لديه ؛ وان لاح الصباح . غروبُ .

يتضح بأتم الجلاء من شعره ان الشهوة السائدة لنفسه والآخذة منها كل مأخذ . هي عشق النساء . حسبنا برهاناً على ذلك قوله :

اسمى الشعر والفن في الحياة الغواني .

حين يصف هيامه ببنات حواء . نرى انه قد الّههن فعبدهن .

هاكم قصيدته « إسألوها » بحذافيرها .

إسألوها او فاسألوا مَضاها اي شيء قالت له عيناها .
فهو في نشوة . وما ذاق خمرًا . نشوة الحب هذه اياها .
ذاهل الطرف . شارد الفكر ؛ لا يلمح حُسناً في الارض إلا رآها ؛
السواقي لكي تحدّث عنها . والاقاحي لكي تذيع شذاها ؛
وحفيف النسيم في مسمع الاوراق نجوى تبثها شفتاها .
يحسب الشجرَ قبسةً من سناها . ونجوم السماء بعض حُلاها .
وكذاك الهوى ؛ اذا حل في الارواح . سارت في موكب من رُؤاها .
كان ينهى عن الهوى نفسه الظمأى . فأمسى يلوم من ينهاها ؛
لمس الحب قلبه . فهو نار تتلظى ويتلذ لظاها !
كل نفس لم يشرق الحب فيها هي نفسٌ لم تدرِ ما معناها .

غزله اشد التهاباً في « هدية العيد » :

اي شيء في العيد اهدي اليك . يا ملاكي . وكل شيء لديك ؟
أسوارًا ام دملجاً من نضار ؟ لا احب القيود في معصميك .
ام خمورًا . وليس في الارض خمرٌ كالتي تسكبين من لحظيك .
ام ورودًا . والورد اجمله عندي الذي قد نشقتُ من خديك .
ام عقيقاً كمهجتي يتلظى ؛ والعقيق الثمين في شفتيك .
ليس عندي شيء اعز من الروح ؛ وروحي مرهونة في يديك !

نار حب الغواني الذي تيّمه طول شبابه وكهولته ؛ لم تخمد البتة في شيخوخته ؛ فلا يزال يعبّر عن حنينه المضني الى ملذات ماضيه :

اشتاق عصرك . يا شبيبة . مثلما يشتاق للماء النمير الايّلُ .
اذ كانت الدنيا بعينيّ هيكلاً فيه الاهات الجمال ترتل .
من كل حسناء . كأن حديثها سلوى او الوحي الطهور المُنزّل !

قد كان لي في كل خود مضمعٌ . ولكل رائعة المحاسن في وطرْ .
بهمْ شعري كالدُجى محلولك . ايام عيشي لا يخالطه كدر .

« روحي فداك » تشهد على اضطرام غزله بعد المشيب : دونكم بعض ابياتها

لمـ رأيت الورد في خديك وشقائق النعمان في شفتيك .
ورأيت رمحك بالاقاح متوجاً . والشمل طاقات على عذبك .
وسمعت حولك همس نسمات الصبا عند الصباح تهز من عطفيك .
ايقنتُ انك جنة خلابة . فحننت من بعد المشيب اليك .
ولذاك قد صيّرت قلبي نحلةً . يا جنتي . حتى يحوم عليك .
روحي فداؤك . انها لو لم تكن في راحتيك . هوت على قدميك !

في « الشباب والحب » يحث الشبان على عشق النساء . مؤكداً لهم ان الانهماك في ذلك الهوى . الذي اجمع حكماء كل العصور على انه يؤدي حتماً الى الغواية والسفالة والتعاسة . هو وحده يكفل لهم الهدى والرفعة والسعادة :

بكيتَ الصبا من قبل ان يذهب الصبا . فيا ليت شعري ما تقول اذا ولّى !
ترمتّه يبغي اذا انت صنته عن الشفة الحمراء والمقلة الكحلا .
وخلت الهوى جنباً . فلم يكن الهدى اخيراً سوى الامر الذي خلته جنبلا .
خشيتَ عليه ان يطوّحه الهوى . فألقاك هذا الخوف في الهوة السفلى !
اتلجم مساء النهر عن جريانه مخافة ان يغنى؟ اذن فاشرب الوحلا !
سيبلى الصبا مهما حرصت على الصبا . فدعه يذوق الحب من قبل ان يبلى !

من اغرب مظاهر هذيانه الجنوني في الغزل . قوله في مطلع « أمنية إلاهة » :

احب انسهٌ في صباه الاهةً جرى السحر في اعطافها والترائب .

في الصفحات السابقة قد اطلنا الكلام على نوعين سافلين من قريض ابي ماضي . بيد اننا نبخسه حقه اذا انكرنا انه قد اجاد معالجة عدة مواضيع

شعرية جميلة . ومن جملتها حبه الشديد الثابت لوطنه الصغير لبنان : مع ابتعاده عنه عشرات السنين . يقول في « لبنان » :

نشتاقه . والصيف فوق هضابه . ونحبه . والثلج في واديه .
واذا تمد له ذكاء حبالها بقلائد العقيان تستغويه .
واذا تنقطه السماء عشية بالانجم الزهراء تسترضيه :
واذا الصبايا في الحقول كزهرها يضحكن ضحكاً لا تكلف فيه.

في « بلادي » تسطع وطنيته كنار متأججة :

اني مررت على الرياض الحاليه وسمعت انغام الطيور الشاديه .
فطربت . لكن لم يحب فؤاديه كطيور ارضي او زهور بلادي .
وشربت ماء النيل شبح الاسهر . فكأنني قد ذقت ماء الكوثر .
نهر تبارك من قديم الاعصر . عذب ولكن لا كماء بلادي .
وقرأت اوصاف المروءة في السير . فظننتها شيئاً تلاشى واندثر .
او انها كالغول : ليس لها أثر . فاذا المروءة في رجال بلادي ...
قالوا « تأمل أي حال حالها : صدع القضاء صروحها فاماتها :
«ستموت : ان الدهر شاء زوالها.» اتموت؟ كلا لن تموت بلادي!

نجد عشرات من مثل تلك الابيات الوطنية الرائعة في « روعة العيد » و « شبح » و « الغد لنا » . لولا ضرورة ايجاز هذه المقالة : لذكرناها برمتها.

لم يعالج ايليا الشعر الرمزي الا ندرة . على انه قد بلغ به ذروة الابداع . في ذلك دليل جلي على قوة مخيلته . تنده بالناس وتريهم خفاقتهم واثرتهم . لا على اسلوب النظريات الجافة والنصائح العابسة . بل بواسطة رموز ظريفة : كأنها انامل تشير عن بُعد الى قروح النفوس : بدون لمسها لمساً خشناً ينكأها ويدميها . هاكم نموذجات من ذلك الشعر الظريف .

« الحجر الصغير » مندمج في بناء سد : على ان صغره وحقارته يحولان دون فهمه خطورة وظيفته . جعل يئن في صمت الليل على فرط ذله ، ويحسد الرخام المنحوت تمثالاً : الماء الساقي الحدائق الغناء : الارض المنبتة زهوراً واثماراً . الدر المتلالئ في اعناق الصبايا . ضجر من حياته الخفية الوضيعة . فساقه اليأس الى التفرير بها : فهوى من مكانه متحراً : وبعد حين .

فتح الفجر عينه . فاذا الطوفان يغشى المدينة البيضاء !.

رأت «التينة الحمقاء» ان ليس لها بل لغيرها الثمر . فأحجمت عن

الإثمار . لئلا يدمن الناهبون نهبها . فلم يُطق صاحب البستان عنفها . فاستأصلها.

من ليس يسخر بما تسخر الحياة به فانه احمقٌ بالحرص ينتحرُ .

في « الضفادع والنجوم » يرينا الشاعر تلك الحيوانات البلهاء واهمةً ان الكواكب المنعكسة في مياهها . جيش جرار زاحف عليها . فحملت عليه حملة شعواء بفيق هائل . لم تكفّ عنه حتى انبلج الفجر واختفت صور النجوم . فصاحت الضفادع تشرى بظفرها الخيالي :

ايها التاريخ . سجّل انّنا امةٌ قد غلبت حتى النجومْ !

« دودة وبلبل » ترمز الى سلامة ذوي المقام الوضيع من الاخطار التي لا يزال يحسب المكانة العالية عرضة لها . هاكم تلك القصيدة برمتها :

نظرت دودة تدب على الارض الى بلبل يطير ويصدحُ .
فصت تشتكي الى الورق الساقط في الحقل . انها لم تحلّق .
وأتت تملة اليها وقالت : « إقنعي واسكتي . لها لك اصلح .
« ما تمنيت . اذ تمنيت . الا ان تصيري طيرًا يُصاد ويذبح :
« فالزمي الارض . فهي احنى على الدود . وخلّي الكلام . فالصمت ارْيح . »

قد اجاد ايضاً معالجة عدة مواضيع اخلاقية ، قدّمها الينا مزدانة بحُلى الخيالات الجميلة المبتكرة . فلا مندوحة لنا عن ذكر بعضها مع ايراد شيء من احسن ابياتها .

مغزى « ليس السر في السنوات » ان قيمة حياتنا لا تُقاس بطولها بل بما تحتويه من الاعمال الصالحة :

قُل للذي احصى السنين مُفاخرًا : «يا صاح . ليس السر في السنوات :
« لكنه في المرء كيف يعيشها . في يقظة ام في عميق سُبات .»...
خيرٌ من الطولات . لا حدٌّ لها . روضٌ اغنّ يُقاس بالخطوات...
العمر . إلا بالمآثر . فارغٌ كالبيت مهجورًا وكالموماة .
جعل السنين مجيدةً وجميلةً ما في مطاويها من الحسنات .

« إبتسم » يحثنا فيها على الفرح الدائم حتى في اعظم الضيقات وآلم الكروب :

قال « السماء كئيبةٌ » وتجهما : قلت «ابتسمْ : يكفي التجهم في السما».
قال «الصبا ولّى» . فقلت له «ابتسم : لن يُرجع الاسف الصبا المتصرما» ...
قال « الليالي جرّعتني علقماً » : قلت « ابتسم ولئن جرعت العلقما :
« فلعل غيرك : ان رآك مرنماً . طرح الكآبة جانباً وترنما » .

« في قلبك الله » تذكرنا ان الغني عبد ماله . ان لم يجُد بحصة وافرة منه على اخيه الفقير البائس :

وان اتانا اخو مال يكاثرنا ... بالتبر تيهاً . رجوناه وخفناهُ .
وقد يكون نضارٌ في خزائنه ... دمعاً سفكناه او جهداً بذلناه .
لا تحسب المجد ما عيناك ابصرتا ... او ما ملكتَ هو السلطان واخاه .
المال مولاك ما امسكته طمعاً : ... انفقْه في الخير . تصبح انت مولاه !
ما دام قلبك فيه رحمةٌ لأخ ... عانٍ . فأنت امروٌ في قلبك الله !

« عطش الارواح » تصف لنا اضطراب ملايين معاصرينا الدائم . لشدة خوفهم من نشوب الحرب العالمية الثالثة :

زالت الحرب وولّت . انما ... ليس للذعر من الحرب انقضاء .
ان صوتاً . فأحاديث الوغى ... في الحمى الآهل والارض العراء .
واذا نمنا . تراءت في الكرى ... صُوَر الهول واشباح الفناء .
عجباً . والحرب بابٌ للردى ... وطريقٌ للدمار وعفاء .
كيف يهواها بنو الناس ؛ فيا ... كرهوا في هذه الدنيا البقاء ؟
ان يكن علم الورى يُشقيهم . ... يا الهي : رُدّ للناس الغباء .
وليجئ طوفان نوحٍ قبلما ... تغرق الدنيا بطوفان الدماء !

« يا انشودتي . انطلقي » يصرّح فيها ابو ماضي بان الحروب العصرية وربوات كوارثها من قتل وتدمير ، ناتجة عن تأليه امدن اهل جيلنا للآلات التي اخترعوها . وإنابتهم اياها مناب الههم وخالقهم . الجدير هو وحده بأعلى درجات التبجيل والحب والخدمة . لقد اصاب بذلك التعليل كل الاصابة . فذكّرنا باسلوب شعري جذاب . ما قاله مراراً نوابغ المفكرين :

وا رحمتاه لأوربا ؛ فما فتكت ... افعى بأفعى كأهليها بأهليها !
لم يبق غير الضواري في خلائقها ؛ ... ومن حضارتها الا مخازيها !
كانت تُعدّ الدواهي في مصانعها ... لغيرها ؛ فاصابتها دواهيها .
وكل طابخ سم سوف يأكله . ... وكل حافر بئر واقعٌ فيها .
لو دام ايمانها . لم تنطلق سقَرٌ ... بدُورها ؛ والافاعي في مغانيها ؛
لكنْ اكبّت على الآلات تعبدها ... وتستعين بها من دون باريها .
فصار مالكها عبداً لسلطتها ؛ ... وصار كل ضعيف من اضاحيها ؛
وصار انسانها للحلب آونةً ... والذبح . مثل المواشي في مراعيها !

لقد لاحظ قراؤنا — لا محالة — ان ابا ماضي : الكافر المتحذلق . الذي انكر مرارًا وجود الله الخالق وخلود نفس الانسان في ابدية سعادة كاملة او عذاب هائل . على حسب اعماله . وعبّر مرارًا اكثر عن شكه المطلق في تلك الحقائق الجوهرية . قد علّل حروب عصرنا بالحاد اهله وعبادتهم للآلات . عوضاً عن الله . ذلك تكذيب صريح لمجاهراته الكفرية العديدة . فهو لعصري اشبه بسكّير تُعميه شهواته الجامحة . فينكر اوضح الحقائق . ثم يصحو بعض الاحيان من سكره المعتاد . فيؤكد ما نكره في الغالب . هذا التناقض الشائن قد بلغ اقصى مداه في « كلوا واشربوا » . التي يهدد بها الاغنياء الظالمين القساة بالعذاب الابدي . ويذكّر الفقراء . صحايا دمث خرز الدهشن . بالنعوت الدائمة المختصة بالابرار :

كلوا واشربوا . ايها الاغنياء . وان ملأ السكك الجائعون .
ولا تلبسوا الخز الا حديدًا . وان لبس الخرق البائسون ...
ويا فقراء . لماذا التشكي ؟ الا تستحون . الا تخجلون ؟
دعوا الاغنياء ولذاتهم . فهم مثل لذاتهم زائلون :
سيمسون في سقر خالدين : وتمسون في جنة تنعمون .
فلا تعطشون ولا تجوعون . ولا يرتوون ولا يشبعون !
لكم وحدكم ملكوت السما : فما بالكم لستم تقنعون ؟ ...
كذا وعد الله اهل التقى . وانتم هم . ايها المتعبون .
الا تؤمنون بقول الكتاب ؟ فويل لكم : انكم كافرون !

سبحان الاله القيوم . الذي لا يمسه ادنى تغير . مع قدرته المطلقة على إحداث كل تغير لا ينافي قداسته . في جميع خلائقه ! قد حوّل ابا ماضي الكافر وناشر الكفر : الى واعظ ممتاز يذيع خوف مولاه ! يعترف ايضاً بالله الخالق في مطلع « الشاعر » . وهي رثاء لخليل مطران :

عندما ابدع هذا الكون رب العالمينا .
ورأى كل الذي فيه جميلاً وثمينا .
خلق الشاعر . كي يخلق للناس عيونا :
تبصر الحسن وتهواه حراكاً وسكونا .

له مهارة غريبة في الوصف الدقيق لاحوال النفوس المتنوعة السريعة التقلب بين صباح وعشيته . تتجلى تلك المقدرة في « المساء » : وهي من اجمل قصائده : يخاطب فيها فتاة كان الفرح يفعم قلبها في اول النهار : ثم

اخذ منه الحزن كل مأخذ في آخره : فيحثنا على حفظ سروره مستقلاً عن كل العوامل الخارجية . هاكم بضعة ادوار من تلك القصيدة الرائعة :

هذي المواجس لم تكن مرسومة في مقلتيكْ .
فلقد رأيتك في الضحى . ورأيته في وجنتيكْ .
لكنْ وجدتك في المساء وضعت رأسك في يديكْ :
وجلست . في عينيك الغاز وفي النفس اكتئابْ
مثل اكتئاب العاشقينْ : سلمى ، بماذا تفكرينْ ؟...

لتكن حياتك كلها املاً جميلاً طيباً .
ولتملأ الاحلام نفسك في الكهولة والصبى .
مثل الكواكب في السماء وكالازاهر في الربى .
ليكن بامر الحب قلبك عالماً في ذاته :
ازهاره لا تذبلْ ؛ ونجومه لا تأفلْ . ..

مات النهار ابن الصباح . فلا تقولي « كيف ماتْ ؟ »
ان التأمل في الحياة يزيد اوجاع الحياة :
فدعي الكآبة والاسى واسترجعي فرح الفتاة :
قد كان وجهك في الضحى مثل الضحى متهللا .
فيه البشاشة والهناءة ؛ ليكن كذلك في المساء !

قد فرغنا من تحليل مواضيع شعر ابي ماضي ؛ ولا بد من تكملته بابداء رأينا في انشائه . انه مزدان في الغالب بحليتي الوضوح والانسجام وقلة الحشو . لغته صحيحة . بيد انها لا تخلو من بعض اغلاط غليظة . نضرب عليها الامثلة الآتية : يعصاني (صوابها يعصيني) لساني — نقطة (قطرة) ماء — اتى (اتت) الدُجى (دُجى جمع دُجية) — روى (اروى) الارواحَ خمرًا — شاء القضاء بأن (أن) يشقى — يُرضي السوى (غيره) — تشتاق عيني قبل (قبل أن) يغمضها الردى — الأقاح (الأقحوان) الغضّ — المولى المُهاب (المهيب).

الكلمات المهانة كثيرة تحت قلمه ؛ وهي مما يمجه الذوق السليم ؛ هاكم شيئاً منها : باقعة (رجل ذكي) ؛ تخاوصت النجوم (مالت الى الغروب) . حمأة مسنونة (منتنة) ؛ قرضاب (فقير) .

خيالاته تُحصى بالمئات ، والمبتكر منها غير قليل ؛ نذكر منه هذه

النامذج : الارض تستجدي الخضمّ مياهه — جثة لفها الثرى بالظلام المؤبد — الورق الذاوي كالاحلام القتلى — تُسد عليهم دروب المنى — ورث (اللبنانيون) اقتحام البحر من فينيقيا — نظم (الله) الالوان في الارض زهوراً — اماني خضراء — وجه الحسناء مرعى عيون الخلق — ذهّب الاصيل الروابي — الصبح مورّد — الشمس عسجد يتضرم .

بيد ان كثيراً من الخيالات الاخرى تشينها المبالغة او التكلف . خصوصاً في قصائد الوصف والمدح والرثاء . دونكم بعض الامثلة على المبالغة : عقدتْ على النحوم لوائي — شاب حضارات ومجد أمية ما شاب — كأن الارض قد مادت (بعد موت فيصل الاول) .

يقول في رثاء عبد الله البستاني .

مجد من بعدك في مأتم حاضرها والاعصر الغابراتُ !

التكلف اكثر من المغالاة . يسهل علينا ذكر عشرات الامثلة عليه . نكتفي بالآتية لعدم إضجار قرائنا : تكاد (الفتاة الجميلة) يشربها خاطر رائيها — نحسب اقواله (اقوال عبد الله البستاني) مسروقة من مثل الغانيات — ليت الرياض تعيرني الوانها لاصوغ منها خطاباً — لو لم تكن بشراً لكنت سحاباً — سواد الليل ميلك — السواقي فتنٌ واقعة .

لا تشرب الخمر النجومُ . وان تكن معصورةً من انفس الشعراء .

يقول في رثاء فيصل الاول :

فيا جدثاً حواه . لست قبراً . ولكنْ انت في الدنيا وسامُ .

وفي رثاء عبد الله البستاني :

حننت انوق الى سمع اسمه . وطربت من ذكره الصافناتُ !

على كل حال تلك الشوائب العديدة في انشاء ابي ماضي ادنى جداً من العيب الثقيل الشائن لكثير من قصائده . وهو الكفر المطلق او الارتيابية الاباحية . لا ننكر انه شاعر مطبوع . ينبذ الانتحال والتقليد . مقتبساً الهامه من صميم الحياة . ذلك الينبوع الفياض التي لا تنضب مياهه . فليته بقي في مستوى الشعر الرفيع . مجتذباً الى عليائه الشامخة آلاف النفوس الدانية على الحضيض دبيباً . بل المتمرغة طوعاً في الاوحال ! ويحه ! فانه قد سخّر شاعريته السامية لنشر الحاده وشكه الفاضحين في انحاء العالم العربي ؛ فبئس التسخير الشائن لشخصه الشهير ولفنه العالي !